

القواعد العامة للمنهجية الإسلامية للعلوم
"رؤية نقدية لمنطلقات العلم التوحيدي القائم على الجمع بين القراءتين "
الدكتور طارق الصادق عبد السلام*

ترتكز قضية "إسلام المعرفة" على قواعد أساسية يتخذها رواد هذا المجال أسساً لبناء المنهجية الإسلامية للعلوم ، وهناك شبه اتفاق عام بين المشتغلين في هذه القضية على هذه القواعد التي حددت في سنة بنود - حسبما طرح في ورقة عمل المعهد العالمي للفكر الإسلامي - وهي⁽¹⁾ :

1. الأزمة الفكرية المعاصرة.
2. التعامل مع التراث الإنساني.
3. التعامل مع التراث الإسلامي.
4. التعامل مع القرآن الكريم "كمصدر للمعرفة".
5. التعامل مع السنة النبوية "كمصدر للمعرفة".
6. الجمع بين القراءتين.

وتشكّل هذه المحاور الضرورات المعرفية التي تتشكل من خلالها المنهجية الإسلامية للعلوم والمعارف ؛ فقضية الأزمة الفكرية المعاصرة، تعالج في هذا السياق من جانبين :

الأول: هو الأزمة الفكرية التي اكتنفت المجتمعات الإسلامية، وقد ذهب طه جابر العلواني إلى أن جذورها تمتد إلى القرن الرابع الهجري ، هذا فضلا عن التدهور الفكري الذي بدأ آنذاك، ثم تعاظم في العصور المتأخرة بعيد احتلال ديار المسلمين وارتباط القواعد العلمية والأبنية المعرفية لهم بثقافة وحضارة المحتل، وعليه تصبح دراسة هذه الأزمة الفكرية ومعرفة مواطن الداء - ضرورة معرفية لاستلهاهم طرق العلاج.

الثاني : هو الأزمة الفكرية في التراث الإنساني عامة والفكر الغربي خاصة والتعامل معه.

غير أن إشكالية التعامل مع التراث الإنساني والتعامل مع التراث الإسلامي تستوجب رؤية يقوم عليها بناء هذا المنهج للتعامل مع التراثين، وتذهب مدرسة إسلامية المعرفة في ذلك إلى ضرورة دراسة التراث الغربي وإحالاته الفلسفية المشكّلة للنظام المعرفي الوضعي، وكذلك التراث الإسلامي وتنقيته ؛ لأن التراث الإسلامي يشمل عصر النبوة والخلافة الراشدة " عهد القدوة" ، ويشمل عصر ما بعد الخلافة الراشدة وهو العصر الذي برز فيه الإنتاج الفكري للمسلمين في العلوم المختلفة، كما يشمل عصر الانهيار الحضاري والثقافي لهذه الحضارة الذي سمته مدرسة إسلام المعرفة بـ"عصر الأزمة الفكرية"، وهذا يستوجب أن يكون التعامل معه على مرحلتين :

* أستاذ مساعد بمعهد إسلام المعرفة.

(1) طه جابر العلواني- إسلامية المعرفة المبادئ العامة- وخطة العمل- سلسلة إسلامية المعرفة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي واشنطن 1986م.

الأولى : وهي المرحلة التي يتم التعامل فيها انطلاقاً من مسلمة أن الوحي الكريم مصدراً للمعرفة، وهذه المسلمة قد تعد من نتاج سبر أغوار الأزمة الفكرية نفسها سواء في السياق الغربي الوضعي أو الإسلامي.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة ما بعد بناء النموذج المعرفي التوحيدي والمنهجية الإسلامية للعلوم، والتي تتكشف من خلالها رؤى منهجية ومعرفية يمكن من خلالها معايرة التراثين : الغربي "أو الإنساني الأشمل" والإسلامي في عهده الوسيط والمتأخر.

وقد سعى المعهد العالمي جاهداً إلى بلورة بعض الرؤى من خلال الكتابات المتعددة والمحاضرات والدورات التدريبية ، وأوجد تراثاً لا يستهان به في محاوره الستة هذه، غير أن غالب هذا التراث قد ارتكز على العلوم الشرعية حتى بدأ كأنه الهم الأكبر في بناء المنهجية، ولا شك أن إصلاح مناهج العلوم الشرعية وتأسيسها على الرؤية الكلية لإسلام المعرفة على نحو ما ذهب إليه عبد الحميد أبو سليمان وطه جابر العلواني أمر مهم جداً ، ولكن تظل هذه العملية عملية جزئية تخدم الكل ولا تشملها،

والناظر إلى منهج التعامل مع القرآن الكريم أو السنة النبوية أو التراث الإسلامي - في غالب كتابات المعهد العالمي ودوراته التدريبية - يجد أنهم ينشدون بناء منهج للتعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية بمناهج أهل العلوم الشرعية من خلال محاولة تحقيقها وإصلاحها كدراسة السنة "درابية ورواية"، أو نقد المتون ومقاييسها وعلم الرجال والتحقق من السند، وهذه المسائل - مع أهميتها - نرى أنها هموم تدخل في دائرة العلوم الشرعية المتعارف عليها الآن، من حيث دأبها على تحقيق قدر أمثل من التأكيد من الأحاديث ودرجة نسبتها إلى الرسول الكريم (ص) ، وعلى هذا المنحى أيضاً توضع قواعد بناء منهج التعامل مع القرآن الكريم والسنة "الوحي" اللذان يشكلان في هذه المدرسة "مدرسة إسلامية المعرفة" المصدر اليقيني المعتمد الذي يشمل القراءة الثانية "قراءة الكون" ويعادله معرفياً على حسب مؤدي مفهوم الجمع بين القراءتين.

ونعتقد أن أمر إصلاح المناهج أمر مناط بأهل هذا التخصص كأحد أجزاء العملية الكلية ؛ غير أن بناء مناهج للتعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية لا بد أن تؤخذ في الحسبان - عند تشكيلها - باعتبارها مناهج تصاغ أو تبنى لتيسير طرق الأخذ عن المصدر لا تحقيق المصدر نفسه، فالمختص في العلوم الاجتماعية أو الطبيعية جل همه أن يجعل من القرآن والسنة "الوحي" مصدره اليقيني الأساس ليؤسس منهجاً جديلاً منطقياً للحوار بين "الوحي" و"الكون" الذي هو أساس مفهوم الجمع بين القراءتين - في مدرسة إسلامية المعرفة - الذي لا تكتمل جوانبه إلا باعتبار المصدرين وجودة الاستفادة منهما، فأهل العلوم الطبيعية والاجتماعية بين أيديهم مناهج ممتازة لقراءة الكون قراءة جيدة وهمهم الأكبر بناء منهج قادر يمكّن من قراءة المصدر الأول "الوحي" كمصدر معرفي ويستوعب قراءة "الكون" ، وعلى ما يبدو أن الطريقة المتبعة الآن لا تؤدي إلى هذا الهدف؛ إذ أنها تتخذ العلوم الشرعية ومناهجها مركزاً لبناء التعامل المنهجي والمعرفي مع الوحي الكريم "قرآناً وسنة"، و مع التراث الإسلامي كمصدر تبعي.

والعلواني في معالجته لقضية المنهجية الإسلامية للعلوم تطرق لهذه المحاور، وفي معالجته لمنهج التعامل مع القرآن الكريم تطرق أولاً لقضايا أساسية في بناء هذا المنهج؛ وهي قضية "الوحدة البنائية للقرآن الكريم" وهي تُعد من اللبانات التي يمكن أن تُبنى عليها قواعد منهج للتعامل مع القرآن الكريم، وقد يكون ذلك مردهً إلى أن هذا هو تخصصه الأساس، لكن الموضوع المطروح هو "المنهجية الإسلامية الشاملة للعلوم" التي تشكّل لب قضية إسلام المعرفة، ومعلوم أن بناء منهج للتعامل مع القرآن الكريم في دائرة العلوم الشرعية هو جزء من العملية الكلية.

وكذلك نجد هذا واضحاً - عنده - في بناء منهج للتعامل مع السنة النبوية، إذ نجد أنه قد ركّز على منهج ما يعرف بـ"علم مصطلح الحديث" من حيث تحقيق الأحاديث رواية ودراسة وما إليه، وهذه مناهج تحتاج إليها عملية الأسلمة وعملية بناء المنهجية في بعض جوانبها، لكنها لا تبني منهجاً للتعامل مع القرآن الكريم والسنة كمصادر معرفية يأخذ بها أهل العلوم المختلفة.

وكذلك الحال بالنسبة للتعامل مع التراث الإسلامي؛ إذ نجد أن غالب ما هو مطروح هو منهج إصلاحه ونقده وتنقيته وما إلى ذلك، وهي عملية مهمة في تأسيس تراث سليم لا دس فيه ولا تدليس، ولكن هذه أيضاً عملية داخلية إصلاحية تعمل على تصحيح التراث دون النظر في كيفية التعامل معه، وهناك كثير من التساؤلات هي:

هل يكون التراث نقطة بداية للبحث؟

وهل يكون الأساس الذي تدرس من خلاله الظاهرة؟

أم هو تجليات تاريخية لهذه الظواهر تؤخذ منه العبر؟

وما هو المنهج الذي استخدم وكيفية استخدامه والنتائج التي نجمت عن ذلك؟.

وهذا يقودنا إلى القول بأن هذه المناهج عند بنائها إنما هي مناهج للتعامل مع مصادر معرفية أصيلة "القرآن والسنة" ومصادر معرفية تبعية وهي التراث "بشقيه"، وحتى يمكن أن نبني عليها منهجية تستوعب كل ذلك مضافاً إليه التعامل مع الكون كمصدر معرفي مختبري- يجب أن يكون هنالك تناسق وتساند وظيفي بين منهج التعامل مع الوحي "القرآن والسنة" والكون والتراث "بشقيه"، حتى لا تكون هناك مناهج متباينة في التعامل مع هذين المصدرين "الوحي والكون"، وإن كنا نرى أن الفصل بينهما أصلاً هو فصل نظري فقط؛ وليس فصلاً حقيقياً؛ وأنه ليست هناك قرأتين بالفعل وإنما هي قراءة واحدة على نحو ما، كما سيأتي.

ولاشك أن هذا يدل على أن المختص في العلوم الاجتماعية أو الطبيعية يحتاج لمنهج للتعامل مع القرآن الكريم مغاير للمنهج الذي نراه يقدم من خلال العلوم الشرعية "سواء في حالة بناء منهج للتعامل مع القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة"، خصوصاً وأن المتخصص في هذه العلوم يواجه قضايا عملية فعلية في مجريات الحياة يحاول أن يجد لها تفسيراً وتحليلاً وغاية ما يرمي إليه هو الوصول إلى معرفة حقيقة هذه الظواهر وطبيعتها، ومحاولة وضع تعميمات يستطيع أن يستنبط منها أسس التنبؤ بمجريات ظاهرة معينة عند توفر ظروف معينة، وهذا ما يفيد في حالة العلوم الاجتماعية في عملية الإصلاح

والتعديل أو التدعيم لبعض الظواهر، كما يدل ذلك على أن مناهج كيفية التعامل مع الوحي أو التراث القائمة ليست مناهج تعامل تؤسس عليها منهجية إسلامية يبنى عليها نظام معرفي إسلامي يستوعب كل العلوم وتستنبط منه مناهج بحثية تصلح لكل العلوم على اختلافها وتباينها .

مفهوم الجمع بين القراءتين:

يُعد مفهوم "الجمع بين القراءتين" من المفاهيم المحورية في فكر مدرسة إسلامية المعرفة، ويمثل جماع المراحل السابقة عليه، وتمثل عملية الجمع بين القراءتين الأداة المعرفية التي يقام على أكتافها بناء المنهج التوحيدي الذي يربط بين القراءة الأولى والثانية، على نحو ما ذهب إليه طه جابر العلواني⁽¹⁾ الذي ذهب إلى أن مفهوم القراءتين يقوم على قراءة الوحي "أي القرآن" وقراءة "الكون" الذي يمثل الإنسان نموذجه الأصغر، ويرى أن الأمر الإلهي بهاتين القراءتين ورد في قوله تعالى: (أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)⁽²⁾، وبنى على ذلك مقولتين أساسيتين هما:

1. إن الأمر الإلهي قد ورد مرتين بقراءتين، الأولى: باسم الله تعالى لهذا الوحي النازل الذي سيتتابع نزوله حتى يتم قرآناً كريماً مجيداً مكنوناً مفصّل الآيات، والثانية: قراءة الخلق ودراسة الوجود، وفي ذكر الخلق في الآية تهيئة من الله تعالى لذهن رسوله (ص) لبيان النوع الثاني من القراءة.
 2. إن مصادر المعرفة الإنسانية، مصدران لا بد من الجمع بينهما "القرآن العظيم" الذي تُفهم مدلولاته بالخلق والوجود، و"الكون" الذي ينم الاهنداء في أداء مهام الخلافة فيه والقيام بمقتضيات الأمانة - بالقرآن المجيد ونور هدايته، ووسيلة المعرفة هي القلم.
- ومن ثم ذهب إلى أن القيام بالقراءتين فرض؛ لأنهما أمران إلهيان والجمع بينهما ضروري؛ إذ بدونه يقع الخلل، وأن الجمع بين القراءتين شرط مسبق للخروج من الأمية الفكرية والمعرفية؛ لأن هذا الجمع حلقة من حلقات التصور الإسلامي. فالمقولة الأولى عند طه جابر تتضمن جانبيين الأول هو قراءة باسم الله تعالى لهذا الوحي النازل الذي يتابع نزوله حتى يتم قرآناً كريماً مجيداً، ولكن هذا الجانب من المقولة الأولى أولاً لم يوضح ماهية القراءة باسم الله ولا كيف يتم ذلك معرفياً، وإذا انتقلنا إلى المقولة الثانية التي تركز على أن مصادر المعرفة الإنسانية، هما: "القرآن العظيم" و"الكون" - نجد أن ارتباط المعرفة الإنسانية بمصدري "القرآن" و"الكون"، يثير التساؤل الآتي:
- ماذا عن المعرفة الإنسانية في عهود ما قبل "القرآن الكريم"؟ .

(1) انظر طه جابر العلواني- الجمع بين القراءتين- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- ط1 1996م، كما أنظر محاضرات في المنهجية الإسلامية-

معهد إسلام المعرفة- السودان 1996- ص28-34.

(2) سورة العلق الآيات 1 - 5.

فهي إما أنها كانت في أطوار أولية تترقى بالوحي النازل المتتابع حتى تبلغ مرحلة الجمع بين القراءتين عند تمام الوحي بالقرآن، وإما أنها كانت تقيم نظمها المعرفية على قواعد أخرى غير مفهوم الجمع بين القراءتين، وهذا ما نراه واضحاً عند محمد أبو القاسم حاج حمد⁽¹⁾ في تعريفه للمفهوم، إذ يذهب أبو القاسم - وهو الذي وضع أسس هذا المفهوم - إلى أن الجمع بين القراءتين يعتمد على الربط بين القرآن بوصفه محتوى الوعي المعادل للوجود الكوني وحركته وما يتمظهر به هذا الوجود من تكوينات ودلالات، فكلاهما "القرآن والوجود" يكمل الآخر في الكشف عن دلالات الوجود وقوانينه : القرآن بمقولاته والطبيعة بحركتها. ومن ثم يستنبط من آيات سورة العلق الخمس الأولى قراءتين:-

الأولى: قراءة تأتي عبر التعلق بقدرة الله المطلقة في الحركة الكونية ودون كيفية محددة " قراءة باسم الله الذي خلق، وهي قراءة كونية شاملة لآثار القدرة الإلهية وصفاتها وخلقها للظواهر ذات المعنى وتحديد هدف الحق من الخلق".

الثانية: قراءة ليست هي باسم الله ؛ ولكن بمعنيته ؛ وهي قراءة بـ"القلم" إشارة إلى "العلم الوضعي" الذي يتفهم به القدرة الإلهية في نشاط الظواهر ووجودها وحركتها وتفاعلاتها.

ويفسر حاج حمد المقولتين السابقتين بأن مدخل القراءة الأولى ليس مجرد رؤية في مظاهر المخلوقات أو آيات الكون المتحرك لنستدل بها على وجود الخالق وأسمائه الحسنى مدبراً وخالقاً ومبدعاً ليتحقق لنا الإيمان به، وإنما خاصية القراءة الأولى أنها متعالية، فهيمن بها على القراءة الثانية ذات الخاصية الموضوعية والعلمية القلمية، ويرى أن القراءة الأولى هذه ليست معنية بالبحث في القرآن عن دالة أو دلالات لهذه الظواهر فيما يسمونه "التفسير العلمي في القرآن" ، وإنما تبحث في أمر آخر هو الإرادة الإلهية المرتبطة بالحكمة والمؤشرات الدالة على ما يتجاوز قدرات العلم البشري، كمؤشرات وليس كمعرفة، وتعلم القراءة الأولى من طبيعتها بوصفها قراءة بالله، وطبيعتها قراءة عبودية، ولا تعتبر نتائج هذه القراءة الأولى المستمدة من منهج غيبي ملزمة لمن يستمع إليها، إلا أن يسمعها وتقع في روعه ويكون له فيها نصيب، علماً بأنها لا تعتمد على تأويلات ذاتية باطنة ؛ إذ تستند إلى مرجعيات في القرآن نفسه، وهي مرجعيات يدخل إليها بعد الهدى الإلهي، ومن ثم إعادة اكتشاف المعاني بوجوه أخرى لذات النص القرآني المطلق انطلاقاً من أن القرآن الكريم مكنون ومجيد ومطلق وكوني ومتميز عن سائر الكتب السابقة عليه بوصفه كتاب الأرض الحرام، والمنتزل مع خاتم الرسل والأنبياء الذي آتاه الله السبع المثاني والقرآن العظيم وأيده بروح القدس وجعله أول المسلمين وميز رسالته بخصائص لم تتوافر لمن قبله ولا تتوافر لمن بعده.

وبعد هذا يذهب حاج حمد إلى أن الآليات المعرفية الإبيستمولوجية المعاصرة تشكل قوة إسناد لدعم القراءة الأولى ؛ ولكنها ليست مصدرها ؛ لأن مصدر القراءة الأولى يستمد من طبيعة القراءة الأولى ؛ أي : العبودية لله سبحانه وتعالى، ثم يعود كرة أخرى ويقول بأن القراءة الأولى تكشف عن المنهج الكوني القرآني والتعامل مع القرآن نفسه كمنهج معرفة متكاملة،

(1) انظر محمد أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1991م، و انظر إسلامية المعرفة المفاهيم والقضايا الكونية: مجلة تفكير: مج 3 ع2، ط/ معهد إسلام المعرفة السودان 2001م.

فالقراءة الأولى - عند حاج حمد - تضم في داخلها خصائص جد متباينة ؛ فهي تارة متعالية لا يستطيع قراءتها كل إنسان إلا بعض المختصين ؛ حتى كأنها تقارب مفهوم "العلم اللدني" عند الصوفية ؛ وتارة نراها تعتمد على دعم الآليات المعرفية "الإبستمولوجية" المعاصرة في قوة إسنادها، وكرة أخرى تستصحب "القراءة الثانية" وتتسامى بها فوق النزعات الغريزية من جهة ، ثم تستصحب ما يستجد من مناهج القراءة الثانية لتعزز بها رؤاها الربانية، وهي أيضاً قراءة داخل القرآن وليست حساً ظاهرياً لمعاينة ، ولكنها أيضاً ليست قراءة باطنية تأويلية ذاتية ، وليست عصرانية مفتعلة. وليس من دليل نهائي عليها - من بعد استخدام المناهج الإبستمولوجية العلمية - سوى مخاطبتها للسمع والبصر والفؤاد ؛ فهي قراءة مصدقة للقرآن ومكونيته ومجديته وكرمه وإحاطته، فكيف يأتي كل هذا التناقض الداخلي لهذه القراءة الأولى؟ .

ثم يذهب - بعد كل هذا- إلى أنها قراءة باسم الله وهي الدالة على قوله " اقرأ باسم ربك الذي خلق " ؟!

فكيف يتم الجمع بينها وبين القراءة الثانية التي سماها حاج حمد بـ"القراءة الموضوعية المنتجة للعلم الوضعي عبر القلم" ؟. لا محمد أبو القاسم - مبتدع مفهوم الجمع بين القراءتين - ولا طه جابر العلواني الذي أخذ المفهوم عنه - وإن كان بشيء من التصرف والاختلاف - قد بيّنا صراحة كيفية الجمع بين القراءتين وكيف يكون هذا المفهوم هو الذي يخلق المنهجية المرجوة لربط العلم والمعرفة بالوحي الكريم؟ .

وغاية ما أخبر عنه حاج حمد - في هذا المضمار - هو التفريق بين ثلاثة مستويات لمفهوم الجمع بين القراءتين، اتخذها بمبدأ تطوري ، وهذه المراحل حددها حاج حمد من خلال استنباطه من القرآن الكريم على حد زعمه، حيث يرى أنه قد كشف عن منهج الجمع عبر خصائص ثلاث عند الأنبياء والمرسلين في ثلاثة مستويات يمثل كل مستوى مرحلة بعينها⁽¹⁾. وهي: **المستوى الأول** : المستوى التألفي بين القراءتين بطريقة توفيقية. وجعل حاج حمد سيدنا إبراهيم عليه السلام هو من بدأ بهذا الاتجاه وأنه توصل قلبه إلى اكتشاف العلاقة بين "الله" و"الكون" من ناحية وبين "الكون" و"الإنسان" من ناحية أخرى وذلك بتفكيره العقلي والفطري السليم فصار إماماً للمسلمين.

لكن ألم يكن سيدنا إبراهيم نبياً رسولاً يوحى إليه من الله تعالى ؛ فكيف يصفه لنا حاج حمد بأنه مكتشف لهذه العلاقة اكتشافاً ؟ .

ثم كيف ربط - عبر تفكيره العقلي فقط - بين الله والكون عبر القراءتين المزمومتين فأصبح مؤسساً للجمع بين القراءتين الذي يتمثل على حد زعم حاج حمد في التأليف بين الظواهر وحركتها لتعطي الوجود معنى إنسانياً على قاعدة مفهوم التسخير، فيشعر الإنسان بانتمائه إلى الكون وانتماء الكون إليه، فأين الوحي من هذا التفكير العقلي والتأمل الفطري السليم؟ وهل بدأت علاقة الإنسان بالكون مع سيدنا إبراهيم؟ .

وهل بدأت علاقة المعرفة الكونية الموضوعية بالله عند هذا المستوى؟

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد : العالمية الإسلامية الثانية، ط/ دار ابن حزم بيروت 1996 م ، ص 383 وما بعدها.

وسيدنا إبراهيم وصفه الله تعالى بأنه إمام المسلمين ، ووصف بأنه أبو الأنبياء ؛ لكنه لم يكن أبا البشر بحال، ومعلوم أن أبا البشر هو سيدنا آدم ؛ وهو من كان مناطاً به تعمير الأرض عند أول عهدها بالإنسان واستمرت الحياة البشرية بعده قرون حتى سيدنا إبراهيم ، فماذا كان نظامها المعرفي - في رأي حاج حمد - إن كان الرابط بين الوحي والكون هو الجمع بين القراءتين الذي ابتكره سيدنا إبراهيم عليه السلام على حد زعمه؟⁽¹⁾.

المستوى الثاني : من المستوى الأول يذهب حاج حمد إلى مستوى التوحيد بين القراءتين بطريقة منهجية عضوية ، ويجعله من خصائص سيدنا موسى عليه السلام ، وهذا المستوى - عند حاج حمد - كان متوافقاً مع خصائص هذه المرحلة التي سادتها خاصية تدخل الإرادة الإلهية المباشرة في الأحداث، وسماها حاج حمد بمرحلة شريعة "الإصر والأغلال" ، وقد فاته أن "الإصر والأغلال" قد فرضت على قوم سيدنا موسى بعد طغيانهم وظلمهم ؛ قال تعالى: (فَبَطَّلْنَا مَنَ الدِّينِ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) (2) .

المستوى الثالث: جعل حاج حمد المستوى الخير مستوى الدمج بين القراءتين برؤية أحادية في عهد الرسول الكريم سيدنا محمد (ص). ومن كل هذا نلمح الآتي :

- إن حاج حمد لم يبين كيفية الجمع بين القراءتين، ولم يوضح ماهيته بقدر ما وصف مراحل تاريخية معينة لتطور هذا المفهوم، وربط هذا المفهوم بخصائص يزعم أنها خصائص أنبياء ورسول.

- انتهج حاج حمد الأسلوب التطوري في توضيح مفهومه هذا ؛ حيث ربطه بمراحل ومستويات ؛ السابق فيها أدنى من اللاحق. وهذا لا يجوز في نظرنا عند الحديث عن وحي الله الكريم إلى أنبيائه ورسوله على نحو ما سوف نفضّل لاحقاً.

- إن مفهوم الجمع بين القراءتين كأداة معرفية سواء كان على نحو ما ذهب إليه العلواني من أنه قراءة في "الوحي" وقراءة في "الكون"، أو قراءة "أولى متعالية بالله" وقراءة "ثانية مع الله" على نحو ما ذهب حاج حمد - لا يفسر ارتباط المعرفة والعلم كلياً بالوحي الكريم، وارتباطه بالآيات الأولى الخمس لسورة العلق - عند كل من حاج حمد والعلواني - غير مجزوم به، فعلاقة الوحي بالعلم والمعرفة لم تبدأ بهذه الآيات الخمس ، وإن كان سياق الآيات

(1) يقول الإمام القرطبي "قيل المعنى في قوله تعالى على لسان إبراهيم مشيراً للشمس والقمر "هَذَا رَبِّي" أي : على زعمكم ، كما قال تعالى أين شركائي الذين كنتم تزعمون" "الجامع لأحكام القرآن 7/ 27" وقد ذكر الله تعالى أن قول إبراهيم ذلك كان لمحااجة قومه وليس اعتقاداً له ؛ قال تعالى: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ" يقول القرطبي أيضاً : "آتيناهما إبراهيم تلك إشارة إلى جميع احتجاجاته حتى خصمهم وغلبهم بالحجة" 30/7 و يقول السيوطي "فلما رأى القمر بازغا " أي طالعا قال لهم "هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يهْدني ربي" يثبتني على الهدى لأكونن من القوم الضالين تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك ، "فلما رأى الشمس بازغة" قال هذا ذكره لتذكير خبره ربي "هَذَا أَكْبَرُ" من الكوكب والقمر "فلما أفلت" وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا قال "يا قوم إني بريء مما تشركون" بالله من الأصنام والأجرام المحدثه المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد ، قال : إني وجهت وجهي قصدت بعبادتي للذي فطر خلق السموات والأرض أي الله حنيفاً مائلاً إلى الدين القيم وما أنا من المشركين به الجالين ص 175.

(2) سورة النساء آية : 160

يدل على العلم وتعليم الله للإنسان، فعلاقة الوحي بالمعرفة والعلم علاقة بدأت ببداية خلق الإنسان نفسه، وعليه فإن ربط بداية هذه العلاقة بنزول القرآن الكريم غير أمر مقبول ولعل السبب في تلقف العاملين في مجال التأصيل والأسلمة ومشايعتهم لهذا المفهوم "الجمع بين القراءتين" أنه يعبر عن ما هو حادث الآن من فصال بين العلم والغيب عموماً والوحي خصوصاً؛ فدراسة الأزمة الفكرية والنقد الذي وجه إلى الفكر الوضعي - وعلى سنامه الفكر الغربي- يشير إلى ذلك، ويدل عليه الصراع الطويل مع الكنيسة الذي توج بفصل الغيب والتفكير الديني عن العلم والمعرفة العلمية، كما توج بإعلاء قيمة العقل وسيطرته على العلم، وقد أفرزت دراسة الأزمة الفكرية في العالم الإسلامي عن ازدواجية فكرية ومنهجية مما ترتب عليه وجود دائرة لعلوم شرعية تقوم على دراسة علوم الوحي، ودائرة وضعية كونية تقوم على العلوم الكونية وترتكز على منهجية التجربة والحس، وهذا يوضح تماماً أن هناك انفصالا بين المعرفة المرتكزة على "الوحي" مصدراً لها، والمعرفة المرتكزة على "الكون" فقط مصدراً لها، ومن ناحية أخرى تبين إبعاد الوحي تماماً عن العملية العلمية من السياق الآخر.

وهذا يدل على أن هناك نوعين من القراءة - وإن كان نظرياً - :قراءة ترتكز على الكون كمصدر للمعرفة، وأخرى على الوحي الكريم كمصدر للمعرفة، مما جعل التفكير في علاج الأمر يتجه إلى أن الحل يكمن في عملية جمع القراءتين: "قراءة الكون" و"قراءة الوحي"، وهذا قد بدا واضحاً لدى طه جابر العلواني الذي أخذ المفهوم من حاج حمد، وألبسه لبوس القراءتين المتقابلتين: قراءة الوحي وقراءة الكون اللتين يكمن الحل في الجمع بينهما، وهذا جائز من الناحية النظرية التوضيحية والدراسية؛ أي: أن هذا الفصل والجمع قد يكون فصلاً منهجياً لأغراض تعريف الإشكال أكثر من أن يعبر فعلاً عن طبيعة الحل الذي هو اعتماد الوحي الكريم مصدراً للمعرفة والعلم وهداياً للإنسان في تفاعله مع البيئة المحيطة به سواء كانت مجتمعية أو طبيعية كونية، وعليه يصبح هذا المفهوم مصطلحاً دالاً على المشكلة وليس حلاً فعلياً لها، كما أنه لا يشكّل الأداة المعرفية في بناء المنهجية المنشودة، والتي يركز بناؤها على التوصل إلى صياغة المقولات الأساسية التي يبني عليها النظام المعرفي من الوحي الكريم، وعليه تتشكل الرؤية الكلية "World View"، ويقوم النموذج الكلي "Paradigm". ولقد ارتبط مفهوم الجمع بين القراءتين المستنبط من الآيات الخمس الأولى من سورة العلق قوله تعالى: (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) - عندهما - بمفهوم معاضد له ومساند "أو سمه مسلماً أساسية"، وهذا المفهوم هو أن ارتباط الوحي الكريم بالعملية المعرفية والعلم قد بدأ بهذا الوقت؛ وأنها خاصة حصرية للقرآن الكريم دون الأديان السماوية الأخرى، وذلك يتضح في التسلسل التطوري الذي أقامه حاج حمد في مستوياته الثلاثة لمفهوم الجمع بين القراءتين، ويبدو ذلك كأوضح ما يكون في التساؤل الذي طرحه بعد تقريره أن القرآن كون معرفي قائم بذاته .

ولكن لماذا القرآن وليس الكتب السماوية الأخرى؟⁽¹⁾

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد: إسلامية المعرفة المفاهيم والقضايا الكونية- مجلة تفكير: مج 3 ع 2 سنة 2001 م، ص 21 وما بعدها.

وأجاب على هذا السؤال بأنه يتطلب مساقاً علمياً آخر يركز على قاعدة أخرى للمفاهيم تتعلق بمفهوم تطبيقات الاصطفاء الإلهي للبشر والأرض والزمان والمكان، ومن ثم يرتب على ذلك - قاعدة - أو مفهوم آخر وهو أن كل الكتب السماوية منتزلة في الأرض المقدسة، في حين أن القرآن تنزل وحده في الأرض الحرام، ويرتب على ذلك قاعدة أخرى بأن الأرض الحرام أعلى درجة من الأرض المقدسة،

ومن ثم رتب على ذلك أن الكتب السماوية السابقة هي كتب مقدسة ومهداها الأرض المقدسة، وهي تخاطب أقواماً وشعوباً في إطار خطاب حصري موقوت بالمكان والزمان، وبالتالي فهي كتب عهد، أما القرآن فهو للناس كافة ويتسع لمطلق الزمان والمكان، جاء حاملاً الصيرورة الكونية كلها معادلاً بالوعي للوجود الكوني وحركته، وتميز نبيه بأنه نبي الأرض الحرام وخاتم النبيين بذات الوقت، وجاء بدين أكبر درجة من الإيمان وهو الإسلام، ويرتب على ذلك أن القرآن الكريم هو المقابل الديني للمفاهيم الوضعية ومنه نستمد إسلامية المعرفة، فالمعرفة المقابلة للوضعية لا تكون إلا إسلامية، ولا يمكن إطلاق اسم آخر عليها كالمعرفة الدينية مثلاً والتي يمكن أن تختلط بكتب الأرض المقدسة القابلة للتحريف خلافاً لكتاب الأرض الحرام الذي لا يأتيه الباطل.

أولاً:

نثبت أن القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكتاب الوحيد الذي حفظه الله سبحانه وتعالى، و به حفظ ما سبق من ذكر، وجعله الله مهيمناً عليه. ، غير أن حاج حمد - في تحليله هذا- ينفي ارتباط المعرفة والعلم نفيًا قاطعاً عن الكتب السماوية السابقة، لمحدوديتها وارتباطها بالزمان والمكان، ويحاکم الكتب السماوية السابقة، بما أصابها من تحريف، ولكن ألم تكن الكتب السماوية السابقة قبل تحريفها هي وحي الله إلى رسله، وتحمل هدايته التي تكفل بها الله سبحانه وتعالى لأبي البشر سيدنا آدم عليه السلام حين يعتري ذريته انحراف سواء بإغواء الشيطان أو بتكبرهم وطغيانهم، فكون الكتب السماوية السابقة قد حرّفت لا ينفي أنها كانت تحوي وحي الله وكلمته، ولا ينفي أنها وأدت نظماً معرفية مصدرها الأساس هذا الوحي الكريم، والتفريق بين الأديان السماوية في هذا المجال غير مقبول وحتى حصرية الأديان السماوية السابقة وخطابها لأقوام بعينهم وليست للناس كافة فيه نظر، ألم يكن الدين الذي نزل به سيدنا آدم للناس كافة آنذاك واستمر من القرون ما شاء له الله أن يستمر؟ .

ثم نبي الله إدريس، ونوح الذي كان أبا البشر الثاني، ألم يكن دينه للبشرية كافة في حينها ذلك، واستمر ما شاء الله له من زمن؟ .

هذا عن من ذكروا في القرآن، ناهيك عن من لم يذكروا ولا نعلم عنهم شيئاً، قد يكون ما حدا بأبي القاسم إلى هذا القول، تزامن رسل في عهد واحد وأنبياء في عهد بني إسرائيل وما قبلهم بقليل مثل سيدنا لوط وسيدنا إبراهيم، ولكن هل كان كل منهم يحمل ديانة مختلفة عن الآخر؟ .

أم توحدوا في الديانة مع تنوع في الشرائع؟ .

فالشريعة ليست هي كامل الدين، بل هي جزء من الدين إذا فهمنا الدين بمعناه الشامل، وهي الجزء المنوط به قضايا الأحكام وتنظيم العبادات، فكل الأديان السماوية تتفق اتفاقاً كاملاً فيما يتعلق بالقضية الأساسية وهي توحيد الله عز وجل، وقد ورد في القرآن ما يدل على أن كل الأديان السابقة كانت تسمى باسم (الإسلام) في عمومها، إذ أنها من الناحية الفعلية إسلام في معناها، وهكذا أسماها الله تعالى في عرضه لها في القرآن الكريم، فقد ذكر الله تعالى ذلك على لسان نوح عليه السلام في قوله تعالى : (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْنَاكُمْ مِنْ جُرِّ إِنَّ جُرِّيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)⁽¹⁾ وعلى لسان إبراهيم وإسماعيل قوله تعالى: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)⁽²⁾، وكذلك في وصية يعقوب لأولاده قوله تعالى: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)⁽³⁾، ويعقوب عليه السلام هو أبو أنبياء بني إسرائيل وعليه تمت تسميتهم، وعن موسى عليه السلام في خطابه لبني إسرائيل قوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)⁽⁴⁾، وعن حواريي عيسى عليه السلام قوله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ)⁽⁵⁾، وهذا يدل على أن دين الله واحد منذ ابتدائه مع بداية البشرية، وحتى ختمه مع خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ص) ، وان دين الله الحق اسمه "الإسلام" أو هو إسلام في كل العصور ، وإنما الثابت أن الاسمين الكبيرين للأديان السماوية السابقة - ونعني بهما اليهودية والنصرانية أو المسيحية - هي أسماء أطلقها المنتمون إلى هذه الديانات عليها، وعليه فإن دين الله هو الإسلام، والتنوع بين الرسل كان في الشرائع والقضايا المجتمعية الآنية التي تعالجها هذه الشرائع، ولكن الأساس واحد والقضية الكلية واحدة ؛ وهي توحيد الله والإسلام له ؛ قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)⁽¹⁾ فالتوحيد ينتظم كافة العمليات المعرفية والعلمية والعملية، مع تنوع القضايا المجتمعية الآنية التي تعالجها التشريعات الحكمية المتنوعة، فالجانب الأول - الذي يأتي بمعنى الاستسلام لله في أمره ونهيه على لسان الوحي- يمثل اختصاص الله عز وجل بالعبادة، وعدم الإشراك به ؛ من حيث توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والاعتراف بالعبودية والعمل بمقتضى ما شرعه والخضوع الكامل له، وعليه يطلق الإسلام على عمل الإنسان في إيمانه بهذا الدين واستسلامه له. أما الإسلام كدين له خصوصيته واستقلالته من حيث الجوانب الأخرى غير العقدية، فقد أصبح علماً ومصطلحاً يشير إلى الدين الذي نزل على سيدنا محمد (ص) حاوياً المعنى الشامل الذي سبق وهو الاستسلام لله عز وجل،

(1) سورة يونس آية: 72.

(2) سورة البقرة آية: 128.

(3) سورة البقرة آية: 132.

(4) سورة يونس آية : 84.

(5) سورة آل عمران آية: 52.

(1) سورة الأنبياء آية: 25.

مضافاً إليه بعض المسائل الأخرى النظرية والعملية التي - في مجملها - تشكّل الدين الإسلامي بمفهومه الجديد المختص بسيدنا محمد (ص).

وقد وردت عدة تعريفات. للإسلام على لسان الرسول الكريم (ص)؛ ففي الحديث النبوي عن معاوية بن حيدة الذي قال فيه: "وإني سألتك بوجه الله تعالى بما بعثك الله إلينا؟ قال الرسول (ص)، : بالإسلام، قلت: وما آيات الإسلام؟ قال عليه السلام: أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، كل مسلم على مسلم محرّم أخوان نصيران" (1) وعن ابن عمر: "إن الإسلام بني على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان" (2). فأول هذه الأركان هو نطق الإنسان بالشهادتين وهذا النطق يتبعه الالتزام بما تعنيه الشهادتان من أن الإنسان يقر - عن اقتناع فعلي - بأنه لا يوجد في الكون كله آلهة إلا لله جل وعلا، وأن محمد عبده ورسوله، وهذا يعني أنه لا يتوجّه بالعبادة - بكل معانيها المفهومة لديه - إلا الله الواحد الأحد؛ وهذا التسليم الكامل والاستسلام لله تعالى يترتب عليه الانصياع إلى الأركان الأخرى.

فالشهادتان - عقيدة التوحيد - هما اللتان تنقلان الناطق المصدق بهما من حالته السابقة إلى الحالة الجديدة التي سوف ينصاع لكل ما فيها من جوانب نظرية كلية وعملية، والأركان الأخرى - التشريعية - تابعة لهاتين الشهادتين ومدعمة لهما، ولا يستقيم قيام كل الأركان إلا على الركن الأول، ولا يكمل الركن الأول إلا بقيام تلك الأركان.

ونخلص من هذا إلى أن الدين الصادر عن الله تعالى هو الإسلام في كل العصور منذ بدء الحياة البشرية وتنزل الوحي وحتى ختمه بالقرآن، وأنه ليس هناك من اختلاف بين أنبياء الله لا في الدين ولا حتى على مستوى الشرائع، وإنما تتنوع الشرائع بحسب تنوع المجتمعات؛ وهذا يسمى تنوعاً في الشرائع وليس اختلافاً ولا تضاداً. وعليه فإن المعرفة والعلم كانت نشأتها أصلاً من الوحي وأن علاقتهما به هي علاقة أزلية.

مصدر المعرفة والعلم:

لقد تناول الفيلسوف جورج سارتون موضوع "فجر العلم" وابتدر به كتابه "تاريخ العلم" (1) وافتتحه بالسؤال عن بداية العلم وأين بدأ؟، ومن ثم انتقل إلى كيفية هذه البداية في تصوره الذي حوى جماع فلسفة التفكير الوضعي ونظرتها إلى نشوء العلم وكيفية تشكل الحياة البشرية، وذلك بإجابته على التساؤل المطروح بأن العلم بدأ حينما اهتدى الناس إلى حل العديد من معضلات الحياة، وأن هذه المحاولات الأولى لم تكن إلا وسائل لتحقيق أغراض وقتية، ولكنها كانت كافية لبدء

(1) رواه أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط/ مؤسسة قرطبة مصر حديث رقم 20047، 4/5.

(2) رواه النسائي: النسائي: أحمد بن شعيب: المجتبى من السنن، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط/ مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب 1986م، حديث رقم 5000، 8/107، كما رواه ابن حبان: محمد بن حبان: صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب أرنؤوط ط/ مؤسسة الرسالة 1993م، حديث رقم 1446، 4/294، كما رواه البخاري: محمد بن إسماعيل الجعفي: صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا ط/ دار ابن كثير بيروت 1987م حديث رقم 8، 1/12.

(1) جورج سارتون: تاريخ العلم: ترجمة عدد من العلماء بإشراف لجنة من عماد إبراهيم بيومي مذكور وآخرون، ط/ دار المعارف مصر ص 41.

العلم، وعلى توالي الأيام خضعت هذه الوسائل لعمليات الموازنة والتعميم والتجديد والتبسيط والترابط والتكامل، وهكذا أخذت مادة العلم تنشأ ببطء.

وهذا يمثل قصة نشأة المعرفة والعلم والحضارة الإنسانية كلها في المنظور الوضعي، فالإنسان بدأ بدائياً لا يعلم شيئاً، وفجأة - دون مقدمات - وجد الإنسان في الأرض وأصبح لزاماً عليه أن يتعامل معها ويعيش فيها. وحسب الرؤية الوضعية هذه - لم يكن أمام الإنسان هذا من سبيل إلى التعامل مع هذه الأرض التي وجد فيها ولا يعلم شيئاً عنها، ولا يملك أي نوع من المعرفة والعلم، إلا عبر التجربة العشوائية - المحاولة والخطأ - لاستكشاف مكونات هذه الأرض، فأصبح في صراع دائم مع الأرض ومع ما يوجد فيها من مخلوقات أخرى؛ فهو تارة في صراع مع الأرض ليأكل منها ويتقي مشاكلها المتعددة، وهو في صراع مع كل كائن فيها حتى الإنسان الآخر الموجود معه، وهو لا يعلم عن كل هذا شيئاً؛ فيصبح التجريب والمحاولة والخطأ لذلك هي الوسيلة المعرفية الوحيدة التي يمكن أن تستخدم في حال كهذا، ويبدأ الإنسان في التعلم، وهذا المنظور لا بد فيه من مرحلة طفولة للإنسانية حتى تتطور وترقى في سلم التطور عبر هذه الوسيلة المعرفية " التجربة العشوائية"، ولكن هل تنتج "التجربة العشوائية" علماً أو معرفة منظمة مهما ازدادت احتياجات الإنسان البدائي هذا وتعددت حياته؟

لا يمكن ذلك بالطبع، وحتى أهل هذا المنظور لم يذهبوا إلى القول بذلك، فانتظروا معلماً يظهر، وكان تحقق بغيتهم هو أحد الفلاسفة اليونانيين أو من قبلهم ممن وضعوا لهم لبنات المعرفة والتفكير، إذن هذا اعتراف من أهل هذا المنظور بأن العلم يحتاج أول ما يحتاج إلى معلم، والبشرية تحتاج إلى معلم يعلمها أصول العلم وقواعده وأسسها ومكوناته، ويعرفها على الأسماء والأشياء وكيفية خلق العلاقات بينها، فالتفكير يحتاج إلى قواعد يقوم عليها.

ولكن هل هذا يتأتى لبشر مثله مثل الآخرين وإن تميز برجاجة العقل؟ .

فمن أين يأتي بالقضايا الأولية اللازمة لتوجيه التفكير العقلي إلى المسائل الأساسية؟

وكيف يكون هو معلماً دون معلم؟ .

هل يمكن أن نقول - بكل بساطة - قد تفتقت عنه عبقرية هذا الفيلسوف أو ذاك على نحو ما ذهب أهل هذا المنظور المعرفي؟. لا يمكن لمعرفة أن تنشأ دون تعريف ودون أن يكون للمتعارف قضايا أولية يستطيع من خلالها استنباط تعريف؛ وعليه لا بد من " معلم أول" يبين للبشرية القواعد المعرفية، ويعلمهم العلم الأولي الذي تقوم عليه عملية التفكير العقلي والاستنباط والتجريب والتعرف على الأشياء، وهذا المعلم لا بد أن يكون عالماً محيطاً بالأشياء والأحداث بالضرورة، وهذا لا يتأتى إلا لمن أوجد هذه الأشياء والأحداث وخلق الإنسان؛ فالله سبحانه وتعالى هو مصدر العلم والمعرفة ابتداءً، وهو من علم الإنسان وأعطاه ملكة التفكير والاستنباط والاستنتاج، بناء على قواعد معرفية علمها له؛ يقول الحق سبحانه: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ

لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (1).

والآيات السابقة توضح قصة الخلق، وفيها أخبر الله تعالى الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة؛ أي: أنه خالق خلقاً يكون مجالهم الأرض، وهم خلفاء عليها، وهنا ثار تساؤل من الملائكة هل تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، وأنهم - أي الملائكة - يسيحون بحمده ويقدمون له؟ .

وكانت الإجابة بأن هذا المخلوق سوف يزوده الله تعالى بشيء يجعله مؤهلاً للخلافة على الأرض، شيء لا تعلمه الملائكة عن هذا المخلوق الجديد، شيء يطغى على احتمال الإفساد وسفك الدماء؛ وهذا الشيء هو " العلم" الذي يعلمه الله تعالى لهذا المخلوق، ومن ثم جاء قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (2)، وهذا يدل قطعاً على أن الله تعالى هو " المعلم الأول"، بل ليس من علم لأحد إلا ما علمه الله له، فالعلم المطلق هو علمه هو، يعطي منه من يشاء بقدر، وكل حسب قدره واحتياجاته والمهمة المناطة به، فالملائكة لهم مهام ومسئوليات وقد أعطاهم الله تعالى ما يوازي هذا من علم قوله تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (3)، والمخلوق الجديد قد علمه الله تعالى وأعطاه علماً يوازي مهامه ومسئولياته التي يجب عليه أدائها، فأعطاه العلم، وأعطاه مادته، وزوّده بما يمكنه من استخدام العلم وإنتاجه فيما يتعلق بمجال مهامه؛ قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (1)، وقال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (2)، وقال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (3).

فالله سبحانه وتعالى قد علم آدم ما شاء أن يعلمه في تلك المرحلة وزوّده بالوسائل المعرفية التي من خلالها يستطيع أن يقوم بالعملية العلمية والمعرفية، وجعله مختاراً، ويستطيع أن يقيم العلاقات بين الأشياء والظواهر ويستنبط - من خلال المرجعية المعرفية التي علمها له الله تعالى والقواعد المعرفية التي تقوم عليها معرفته - ما يستجد عليه من أشياء في الأرض؛ كما خصّه بملكة التعليم وأن يكون معلماً كافياً ما علمه لمن بعده، أو بعضاً منه إن لم يتيسر الكل؛ ولكنه بالضرورة يعلمه القواعد المعرفية التي تقوم عليها العملية المعرفية والنشاط العلمي.

ويعلق القرطبي على قوله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ وَأَعْلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (4) بقوله: " علم معناه: عرف، وتعليمه هنا إلهام علمه ضرورة، وأن الأسماء هنا بمعنى العبارات؛ فإن الاسم قد يطلق ويراد به المسمى"، ويذهب القرطبي إلى أن

(1) سورة البقرة الآيات 30-33.

(2) سورة البقرة آية: 31.

(3) سورة البقرة آية: 32.

(1) سورة البلد آية: 10.

(2) سورة الشمس الآيات من 7-10.

(3) سورة النحل آية: 78.

(4) سورة البقرة آية: 31.

أهل التأويل قد اختلفوا في معنى الأسماء التي علمها الله تعالى لآدم عليه السلام، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير: "عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا"، وروى عاصم بن كليب عن سعد مولى الحسن بن علي قال: كنت جالساً عند ابن عباس فذكروا اسم الأتية والسوط، قال ابن عباس: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلِّهَا، وَلَفْظَ كُلِّهَا يَقْتَضِي الْإِحَاطَةَ وَالْعُمُومَ"، وفي البخاري من حديث أنس عن النبي (ص) قال " وَيَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدُ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلِمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ " (1). ويذهب القرطبي إلى أن اللغة نفسها قد علمها الله تعالى لآدم فيما علمه، وفي هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توفيقاً، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلاً، وعليه يقول القرطبي "أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام"، والقرآن يشهد له (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلِّهَا) واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته، وبهذا جاءت السنة قال (ص) "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلِّهَا حَتَّى الْقِصْعَةَ وَالْقِصْبَةَ" (2).

ويرى ابن كثير أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها، وقال الضحاك عن ابن عباس قال: "هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودواب وسماء وأرض وسهل وبحر وذيل وحمار، وأشياء ذلك من الأمم وغيرها"، وقال ابن جرير عن الحسن وقتادة: "عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمَّةٌ أُمَّةٌ"، واستشهد ابن كثير بالحديث السابق أيضاً "يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ... الخ" ويذهب إلى أن هذا دلل على أنه تعالى علمه أسماء جميع المخلوقات، ولهذا قال تعالى "ثم عرضهم على الملائكة" يعني المسميات (3).

ويذهب محمد متولي الشعراوي إلى أن الله قد جعل بداية العلم للبشرية كلها بالأسماء، فكما علم الله آدم الأسماء - فإن أي بشر لا يستطيع أن يصل إلى العلم الذي يؤهله ليبدأ التحصيل إلا إذا تعلم الأسماء، وبعد أن علم الله تعالى آدم الأسماء عرضهم على الملائكة، ولم يعرض الله تعالى الأسماء على الملائكة، وإنما عرض المخلوقات التي تطلق عليها الأسماء، ثم طلب منهم أن يقولوا له الأسماء قوله تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) وكل مخلوقات الله لا علم لهم إلا ما أتاه الله لهم من العلم، فالعلم كله يأتي من الله، والله يكشف من علمه وقدراته في الكون ما يشاء لمن يشاء، وكل كشف علمي في الكون قد جعل الله له ميلاداً أو موعداً يكشفه فيه للبشر، فإن صادف مولد هذا العلم باحثاً يبحث فيه كشفه الله له، وإن لم يصادف تم الكشف بما نسميه بـ"الصدفة". والمصادفة التي ندعيها في الكون هي الموعد أو الميلاد الذي حدده الله سبحانه وتعالى ليكشف عن قانون في الكون يجله الناس (1).

(1) رواه البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم 4206، 4/1624، ورواه أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم 4206، 3/116، كما رواه ابن حبان: صحيح ابن حبان 12173، 3/11.

(2) عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ط/ دار الريان للتراث، القاهرة سنة 1981م.

(3) ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد علي الصابوني، ط/ دار القرآن الكريم بيروت.

(1) محمد متولي الشعراوي، الله والكون، ط/ دار المسلم المعاصر، القاهرة سنة 1980م.

وفي قوله تعالى: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) يقول الشعراوي: "أي أن الله سبحانه وتعالى طلب من سيدنا آدم عليه السلام أن ينبئ الملائكة بأسماء تلك المخلوقات التي لا يعرفون ، والتي عجزوا أن يذكرها أسماءهم أمام الله، وهنا نتوقف قليلاً لنقول كيف أنبأ آدم الملائكة بهذه الأسماء، لا بد أنه أنبأ بها بلغة يفهمونها، واللغة لا تكون في الإنسان بالطبيعة، بل لا بد للإنسان أن يسمع حتى يتكلم، ولذلك نجد الصم الذين لا يسمعون والذين ولدوا هكذا لا يستطيعون أن ينطقوا بحرف واحد، وآدم نطق بأسماء هذه المخلوقات فلا بد أنه سمع حتى يستطيع أن ينطق، فمن الذي علم آدم الكلام؟ إنه الله، فلا بد أن آدم لكي يستطيع أن يتكلم أن يكون قد سمع من الله، وعليه فإن الله هو الذي علم الإنسان الكلام، وآدم قد تعلم اللغة من خالقه سبحانه وتعالى" (2).

وعلى كل ما سبق فإن أول نظام معرفي نشأ هو الذي علمه الله تعالى لسيدنا آدم محتويًا على كل المقولات الأساسية للبناء المعرفي، له لغة يصاغ بها وله وسائل معرفية تتمثل في السمع والبصر والفؤاد ، والسمع مقدم دائماً عند الحديث عن الوسائل المعرفية، فالعلم والمعرفة يؤخذان ابتداءً عبر السمع ثم تأتي مرحلة النظر والتأمل والاستقراء وما إليه. ومن الوسائل المعرفية المهمة "الروح" التي قد يكون معبراً عنها بالفؤاد، فالروح هي المحرك الأساسي لكل هذه الوسائل المعرفية، وكل العمليات تدور فيها وعبرها، فالمخ والقلب والعين والأذن، كلها أدوات وهي أعضاء متشعبة، بمعنى أنها أعضاء محسوسة، وقد تم تشريحها بل واستبدال بعضها، وهذه الأدوات تعمل في إطار الروح المبتوتة فيها فيصبح لكل عضو مهامه وتكليفه المأخوذة عن هذه الروح، وهي مستودع القواعد المعرفية التي من خلالها يمكن إنتاج علم ما - باستنباطه أو استقرائه أو ملاحظة بعض القضايا عبر البصر وخلق علاقات بينها، فالروح من الله تعالى : (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) (1) وفيها تقوم المقولات الأساسية، وتقام العمليات المعرفية، فالكون يعطي ظواهر مختلفة ومتشابهة ومتنوعة، ويعطي البيانات والمتغيرات التي يمكن أن يؤلف بينها لتشكل بعد التوليف بينها مدخلات لإنتاج علم، والله تعالى أودع فيها قوانينه الحاكمة ؛ فيمكن للباحث أن يكتشف هذه القوانين، ولكن هذا كله يحتاج إلى معرفة قبلية، ويمكن أن نصفها بأنها المقولات الأساسية والتصورات التي يقوم عليها تركيب ناتج هذه البيانات والمتغيرات والقوانين لتشكل علماً أو معرفة علمية منظمة، إذن الكون ليس مصدراً لإنتاج العلم والمقولات الأساسية ، ولكنه مصدر لمدخلات العلم فحسب.

ونخلص من كل هذا إلى أن آدم عليه السلام قد أعدَّ إعداداً علمياً كاملاً وزود بكافة الوسائل المعرفية التي يستطيع من خلالها استغلال الأرض التي عليه إعمارها والخلافة عليها، وعندما أنزله الله تعالى إلى الأرض تكفل له بالهداية في حين حدوث إشكال في نظامه المعرفي، وهذا الإشكال يمكن أن يحدث لعدد من الأسباب أولها إبليس "عدو اللود" الذي مارس عملية تعليم كانت بمثابة إغواء له لينحرف في قصة الشجرة الشهيرة، ومن ثم التزم بأن يضل كافة من يخرج من صلبه ويغويهم، وقد قال تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

(2) المرجع السابق ص 21 .

(1) سورة السجدة آية 9.

وَمَتَاعٍ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (1).

وهذه الآيات تبيّن أن آدم عليه السلام هبط إلى الأرض ومعه زوجته وعلمه وإبليس، وكان مجابهاً بإعمار الأرض نفسها بعلمه الذي علّمه الله له، وقد وعده الله بالهداية له ولذريته إذا انحرفوا، وظل آدم يتعلم من الله هو وأبناؤه سواء بالوحي إلى سيدنا آدم أو بتعليم أبناؤه بوسائل أخرى من مخلوقات الله مثل قصة الطائر الذي علم ابن آدم الذي قتل أخيه كيف يوراري سواة من قتل، ولو كان ذلك على طريقة البيان بالعمل.

وهنا يثور سؤال كيف انخرقت البشرية عن النظام المعرفي الذي تعلمه سيدنا آدم مباشرة من الله ؛ وذلك العلم الذي تعلّمه شفاهة من الله تعالى قبل النزول وعضده بالعمل في الواقع العملي المعيشي بعد النزول؟.

وهذا يتم الربط بين النظام المعرفي والمقولات والتصورات الأساسية وبين توحيد الله في العبادة، فقضية انحراف المعرفة ونظمها ومرجعيتها يرتبط بالتوحيد والعقيدة المرتبطة به علواً ونزولاً، أي أن هناك علاقة طردية بين عقيدة التوحيد والمرجععية المعرفية ، وبناء النظام المعرفي تزداد بالزيادة وتنقص بالنقصان، بحيث تنحرف هذه المرجعية بقدر الانحراف عن العقيدة ؛ فقصة الشرك ما قبل نوح عليه السلام تقوم على أن جيلاً من الناس وسوس لهم إبليس بأن " وَوَدَّأَ وَسُوءَا عَا وَيُعُوثَ وَيُعُوقَ وَنَسْرَا" الذين هم من الصالحين يجب أن تقام لهم التماثيل إكراماً (1) ، وهكذا إلى أن جعل الأجيال اللاحقة تعبدهم، وذلك بإخباره لهم أن السابقين كانوا يتقربون لله تعالى بهم زلفى، وبدأت قصة الشرك بالله . ولكن ألم يكن فعل إبليس هذا خلخلة للنظام المعرفي؟ .

ألم يكن وسواسه هذا وإخبارهم بأن هؤلاء هم طريقهم إلى الله، نوعاً من التعليم ؟ ومن هنا بدأ اختلاط مرجعيات معرفية أخرى غريبة مع المرجعية المعرفية الأولى، وأصبحت المعرفة تقترب من الحق عند اكتمال العقيدة بالتوحيد، وتبتعد كلما طغى الإنسان وبعد عن الله، وأصبحت معرفته مبنية على مقولات وتصورات شركية، وهذا لا يفي بحال احتواء المعرفة بكافة أشكالها على شيء من الوحي، ولكن يزيد ابتعادها كلما ازداد طغيان الإنسان وتصوره أنه استغنى بنفسه عن تعليم الله له، وقمة الطغيان والاستغناء ادعاء الإنسان الإلوهية لنفسه، وذلك ممثلاً في قول فرعون " أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى " .

ولكن الله تعالى قد ضمن لأدم عليه السلام أنه ممدّه وذريته من بعده بهدى، والهدى قائم على التوحيد وبناء التصورات والمقولات الأساسية التي يشكّل الإنسان عليها معرفته ويقومها ويعيدها إلى أصولها، لذا يذكر الله تعالى دائماً بأنها (تذكّرة) ، وهي هداه الذي يبثه إلى البشرية عند انحرافها.

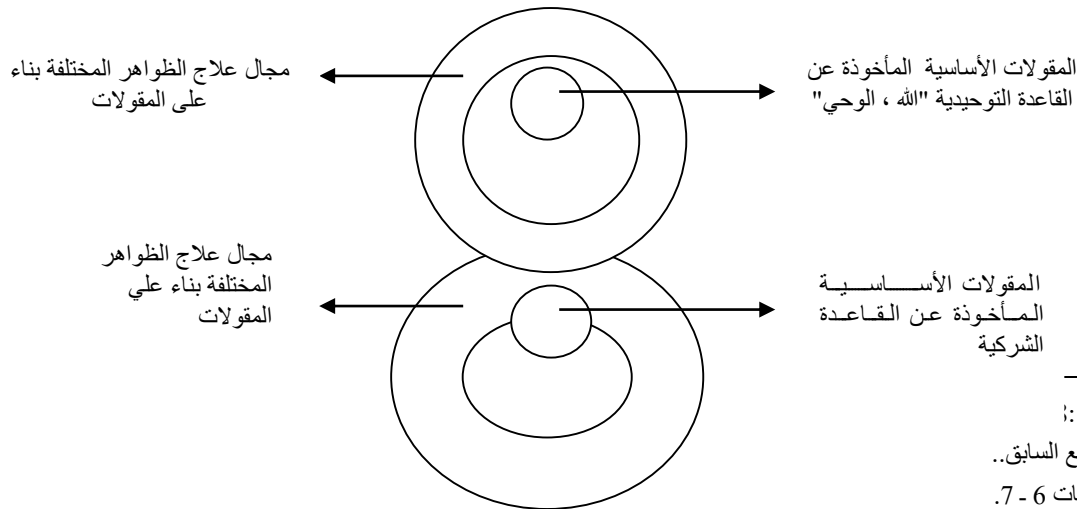
(1) سورة البقرة الآيات 35-39.

(1) يقول ابن تيمية : "قال بن عباس وغيره : هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح ؛ فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدهم ، وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث" :ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ط/ مكة 1404هـ / 1/ 151.

وقد ذهب ابن كثير في تفسير قوله تعالى : (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ.....) (2) يقول ابن كثير : " يخبر الله تعالى بأنه سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسول " ، كما قال أبو العالية : " الهدى : الأنبياء والرسول والبيّنات والبيان " (3).

ويقول تعالى(وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (1) ويقول : (فَأَعْرَضَ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى) (2). وعليه - في حال انحراف المعرفة والنظم المعرفية للعلم - يصبح مبلغ علم الإنسان هو ظاهر الحياة الدنيا ؛ إذ لا يعلم إلا ظاهرها، ويكون ذلك مبلغه من العلم، وذلك يثبت قصور هذا العلم وتلك المعرفة المرتكزة على قاعدة الشرك بالله والاستغناء والطغيان. إذن فخير العلم الدنيوي أو العلم الوضعي هو حالة انحرافية عن الأصل الذي هو العلم التوحيدي، والعلم التوحيدي يشمل العلم بظاهر الحياة الدنيا ويتجاوزه، وهذا أقرب إلى ما ذهب إليه محمد الحسن بريمة من أن النموذج المعرفي العلماني يمثل حالة خاصة في النموذج المعرفي الإسلامي الأشمل.

ومن كل ما سبق يتضح أن مشروع "إسلام المعرفة" هو مشروع إعادة العلم إلى مقولات وتصورات أساسية مرتكزة على الوحي الكريم على اعتبار أن المعرفة والعلم أصلاً مصدرهما الله تعالى عبر وحيه الكريم على مر العصور، وأن العملية ليست عملية "جمع بين قراءتين" بقدر ما هي تأصيل هذه المقولات والتصورات في مستوى ما يسمى اليوم بـ"فلسفة العلم"، والتغيرات التي تحدث في هذا المستوى تتبعها تغيرات في المستويات الأخرى متناسبة ومكافئة لها، وإذا استعرنا تصورات لآكاتوس لبرنامج البحث العلمي والذي يقوم على أن برنامج البحث العلمي يقوم على مستويين هما :القلب الصلب والحزام الواقي، والقلب الصلب هو الذي يتضمن المقولات الأساسية وتصورات الإنسان نحو الله والطبيعة ؛ وتتشكل فيه ما يسمى بالرؤية الكلية والتي تحوي القواعد المعرفية، وهذا مجال الوحي وحده دون الكون، والمستويات الأخرى هي مجال تطبيق المقولات والتصورات الموجودة في المستوى الأول، ويمكن تصوير ذلك بالذرة التي تحتوي على نواة ومدارات حولها، فيصبح المستوى الأول هو نواة هذه الذرة، والمستويات الأخرى هي مداراتها



(2) سورة البقرة آية 129؛

(3) ابن كثير المرجع السابق..

(1) سورة الروم الآيات 6 - 7.

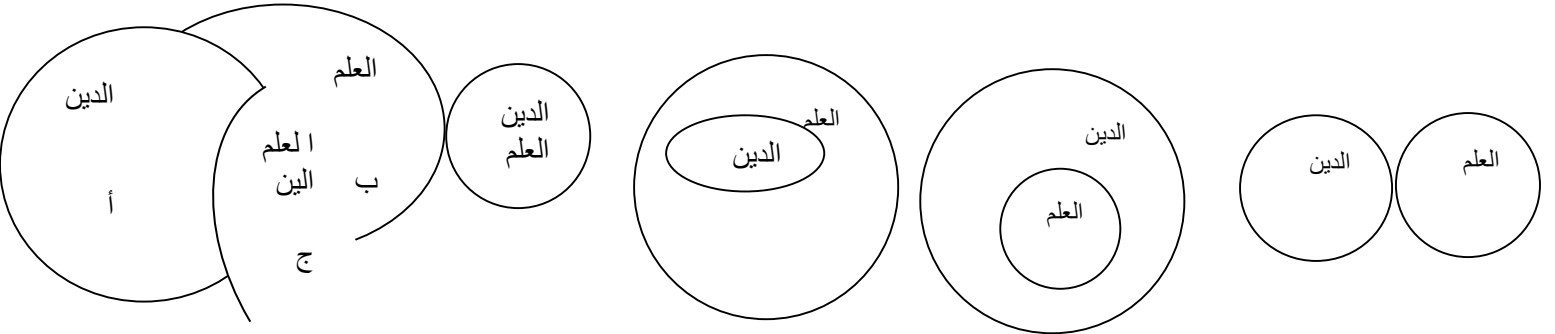
(2) سورة النجم الآيات 29 - 30.

وحسب ما ذكرنا سابقاً من أن المعرفة والعلم - حتى في حالتها الشركية - كانت فيهما نسبة من الوحي، وأن طغيان الإنسان صور له الاستغناء عن الله، إلا أنه - وفي قمة استعلانه - كان لا بد له من اتخاذ إله، " أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ "، فالمقولات الأساسية والتصورات الكلية لا تنتج عبر المعرفة الحسية، فهي إما افتراضات ظنية تتخذ كمسلمات، أو مسلمات يقينية تؤخذ عن الوحي الكريم قوله تعالى: (وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)⁽¹⁾.

فاكتشاف سنن الله في الكون ليست ظناً، ويمكن كشفها بالعلم المتولد عن أي من القاعدتين التوحيدية أو الشركية، فالظن إذن يكمن في مجال المقولات الأساسية والتصورات الكلية، فيصبح المتولد عن القاعدة الشركية ظنياً بذلك ؛ وإن احتوى على بعض النتائج الصحيحة.

وعليه في المستوى الأول يحوي الدين العلم ، وعليه تقوم الأسس المنهجية، وهذا يتطلب الفهم الشامل لمفهوم الدين كما أسلفنا وأنه ليس قاصراً على التعبديات والأحكام الشرعية ؛ فالبعض يفهم من الدين ويختصره في "مفهوم الشريعة" فقط. ؛ إذن فليست العلاقة بين الدين والعلم هي علاقة توافق أو تكامل على نحو ما ذهب إليه عبد الله حسن

- 1/ العلم والدين منفصلان
- 2/ الدين يحوي العلم
- 3/ العلم يحوي الدين
- 4/ العلم والدين متطابقان
- 5/ العلم والدين متداخلا



زروق الذي عالج مبحث العلاقة بين العلم والدين في ورقته لماذا إسلامية المعرفة* كالآتي:
ذهب زروق إلى أن الآراء حول هذه العلاقة متباينة، فمن الناس من يراها علاقة انفصال ومن يراها علاقة احتواء " احتواء الدين للعلم أو احتواء العلم للدين" ومن يرى أنها علاقة تداخل ، ومن الممكن أن تكون علاقة تطابق. وعبر عنها بالأشكال التالية:

ويفسر ذلك بأن الشكل الأول يمثل رأي من يعتقدون أنه لا ينبغي أن نزج بالدين في مجال العلم ولا أن نزج بالعلم في مجال الدين، والقائلين بالشكل الثاني يعتقدون أن كل ما توصل إليه العلم وما سيتوصل إليه جاء به الدين ويستدلون في ذلك بقوله تعالى قوله تعالى: (بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)⁽¹⁾، ويرى زروق أن هؤلاء - في كثير من الأحيان - يتكفون الأمر واستدلالاتهم غير مقنعة، والشكل الثالث يمثل اتجاه عقلاني الإسلام "

(1) سورة يونس الآية 36.

* قدمت الورقة في سلسلة المحاضرات المتخصصة، في برنامج ماجستير علم الاجتماع ، معهد إسلام المعرفة ، السودان سنة 2001م.

(1) سورة الأنعام الآية 28.

كالمعتزلة " وهؤلاء يدعون أن كل ما جاء به الإسلام له تفسير عقلائي، ولا يعلم قائلاً بالنموذج الرابع " حالة التطابق التام"، ويرى زروق أن الشكل الخامس هو النموذج الذي يمثل حقيقة العلاقة بين دين الإسلام والعلم، ويعلل ذلك بأن هناك أموراً - كما ذكر ابن تيمية - تعلم بالشرع فقط وهي تمثل الجزء (أ) في الشكل الخامس كحقائق الغيب وأحكام العبادات مثلاً، وهناك أمور تعلم بالعقل فقط كمرويات الطب والرياضيات وهي تمثل الجزء (ب) في الشكل الخامس، وهناك أمور تعلم بهما معاً كضرر الخمر وهي تمثل الجزء (ج) في الشكل الخامس، وبهذا يحدث التكامل بين العقل والوحي⁽²⁾.

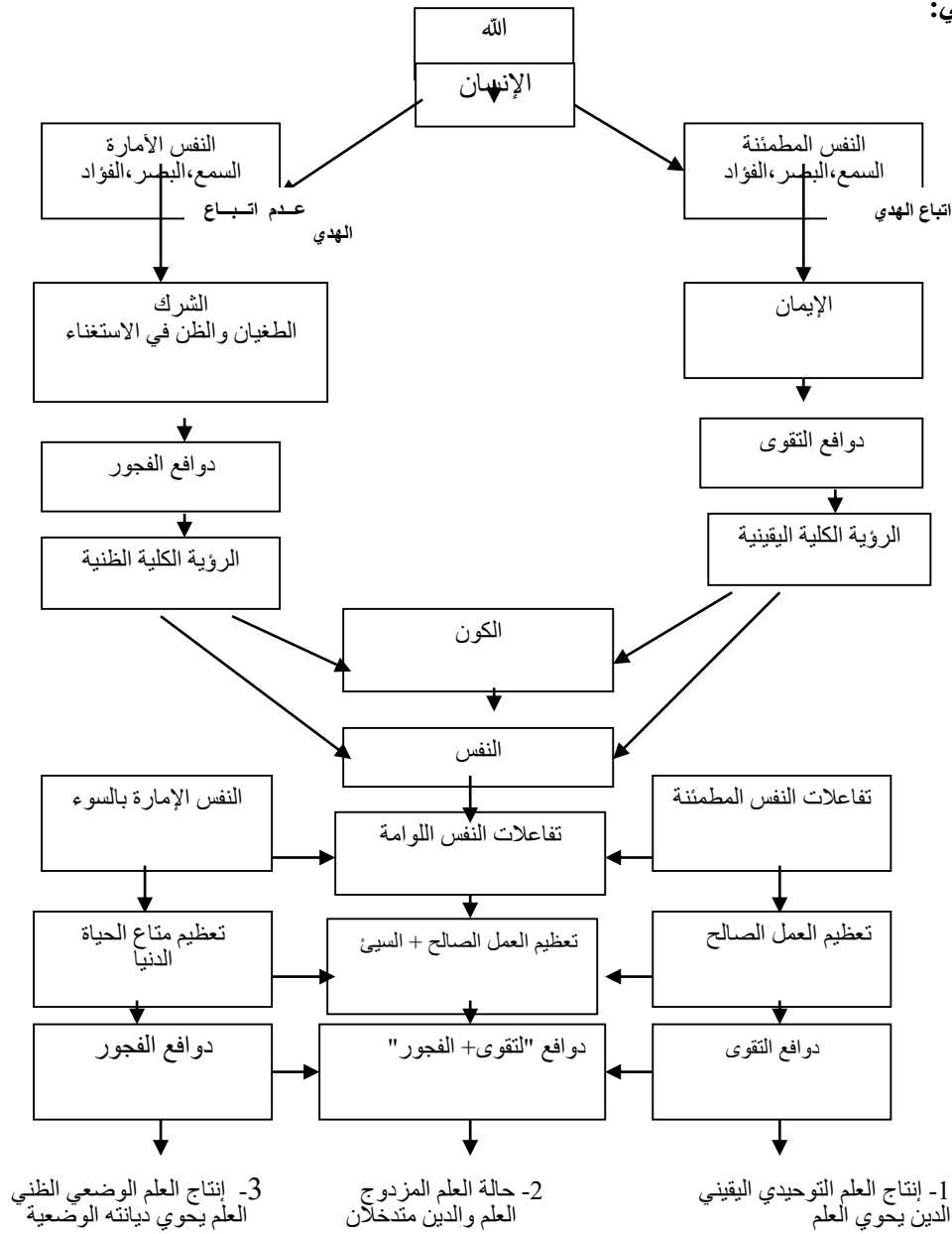
ولكن ألا يعيدنا التحليل السابق إلى حالة الازدواجية كرة أخرى، ويخلق حالة انفصال بين الدين والعلم؟ وهل حقائق الغيب وأحكام العبادات ليست علماً؟

هذا التحليل يفيد بأن هنالك إشكالاً في مفهومنا عن العلم والدين، ويمثل ذلك قصر الدين على الجوانب الحكمية والتعبديّة، والعلم في الجانب الطبيعي، وهذا يتضح في قول زروق: " دعنا نوضح هذه القواعد بإعطاء الأمثلة، فالتكامل بين القرآن والعلم والعقل يتضح مثلاً في أن القرآن يتحدث عن الروحانيات والعبادات والعلم لا يتحدث عنها، والعلم يعطينا طريقة أو قانوناً لحل المعادلة من الدرجة الثانية مثلاً ولكن لا نجد طريقة في الدين لحل المشكلة"⁽¹⁾. وعليه فالخيار الأمثل هنا يمثله الشكل الثاني؛ وهو أن الدين يحوي العلم في أعلى مستوياته، وهو مستوى الرؤية الكلية ومنه تتشكّل الكليات والمسلمات اللازمة لنشأة العلوم بشقيها الطبيعي والإنساني، فمرويات الطب والرياضيات المذكورة في المثال السابق لا تنفصل عن الرؤية الكلية المشكلة لها، وهي إما أن تقوم على قاعدة علمية يقينية أساسها علم الله في وحيه، وإما أن تقوم على قاعدة علمية ظنيّة أساسها الشرك بالله واختلاط الوحي بالأوهام، واختلاط القاعدتين ينتج العلم المزوج الذي يعتمد جانب منه مقولات القاعدة الأولى وجانب مقولات الثانية وجانب منه يخلط بين القاعدتين، ونمثل للنموذج المعرفي القرآني والذي حوى النموذج المعرفي القائم على خيار الحياة الدنيا بالشكل التالي، والذي فيه أيضاً تقارب مع نموذج بريمة:

(2) المرجع السابق ص 13-14.

(1) المرجع نفسه ص 14.

النموذج المعرفي القرآني:



وهذا الشكل التوضيحي لا يعني أن الحالات (1) و(2) و(3) حالات متوازية، فالحالة الأولى هي الأصل الذي قامت عليه القاعدة المعرفية الأولى، والتي أعطاه الله لأدم عليه السلام حينما علمه من علمه، والحالة رقم (2) حالة قد تكون متضمنة في إحدى الحالتين، أما الثالثة فهي تعبر عن حالة الانحراف عن الحالة الأولى والبعد عن إتباع الهدى؛ قال تعالى: (وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَانِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ)⁽¹⁾، وقال تعالى: (وَلَنْ أَتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ)⁽²⁾ وقال تعالى: (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ)⁽³⁾ وحالة الانحراف هذه تعتمد أيضاً على القاعدة المعرفية التي أتاها الله للإنسان عبر وحيه، ولكن لم يجعل الله تعالى الانقياد لهذه القاعدة جبرياً، بل دعمها بوسائل معرفية ليمكّن الإنسان من الاختيار بين الهدى والهوى، فإلهام النفس التقوى والفجور وتعريفها عليهما يشمل ذلك، ولكن الله تعالى قد بيّن أن العلم الحق يعطى الإنسان من قبله تعالى، أي يعطي الله تعالى الإنسان مفاتيحه وقواعده المعرفية التي إن اتبعها يسير في طريق الهدى والعلم الحق؛ قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)⁽⁴⁾ وكل الآيات التي ذكر فيها إثبات العلم للإنسان جاءت في سياق أن هذا العلم آتاه الله له، ومنها قوله: (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)⁽⁵⁾ وقوله: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)⁽⁶⁾ وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ أَتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ)⁽¹⁾ وقوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ)⁽²⁾ وقوله تعالى: (وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)⁽³⁾ وقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)⁽⁴⁾ وقوله تعالى: (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)⁽⁵⁾.

(1) سورة الانعام الآية 119.

(2) سورة الرعد الآية 37.

(3) سورة النساء الآية 157.

(4) سورة فاطر الآية 28.

(5) سورة النحل الآية 27.

(6) سورة المجادلة الآية 11.

(1) سورة الرعد الآية 37.

(2) سورة آل عمران الآية 81.

(3) سورة مريم الآيات 41-44.

(4) سورة النمل الآية 15.

(5) سورة الأنبياء الآيات 78-80.

والآيات السابقات تثبت أن العلم إنما يؤتيه الله للإنسان، وهذا العلم ليس قاصراً على قضايا العبادات والأحكام؛ بل هو شامل لكل معنى العلم ومادته؛ قال تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ)⁽⁶⁾ وقال تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)⁽⁷⁾، كما تبين كثير من الآيات ما ذهبنا إليه من أن العلم في الحالة الثانية التي تقوم على القاعدة الشركية؛ وإن كان علماً بظاهر الحياة الدنيا هو في أصله مصدره الله تعالى، ومنبثق عن الحالة الأولى ولكن حدثت به انحرافات غزاها طغيان الإنسان بوسائله المعرفية وظنه، وقصة عاد تقوم على ذلك كمثال قوله تعالى: (كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)⁽¹⁾.

فالإشكال المفاهيمي قائم في تصورنا لمعنى كلمة (العلم)، ففي عصرنا هذا يفهم العلم على أنه هو ما اختطته له قواعد الفكر الغربي من دائرة مفاهيمية؛ إذ تم حصره فيما يعرف بكلمة "Science" التي شاعت في منتصف القرن التاسع عشر، وكانت تطلق على ما ينتج البحث في مجال القضايا الطبيعية والتجريبية، ثم شمل كافة جوانب المعرفة العلمية عند سيادة المنهج التجريبي وتطبيقه عليها، ومن ثم أصبح هذا المفهوم يطلق على العلوم الطبيعية وما يحتاج إلى التجارب والملاحظات والاختبار، وكان ذلك ذا أثر بالغ في قصر مفهوم العلم على المشاهدات والمجريات ومناهجها، وجعل تعريف العلم في اليونسكو بأنه: " كل معلوم خضع للحس والتجربة"، لذا كان يتم مطابقة العلم مع الفيزياء وخاصة الميكانيكا، وكانت الطريقة العلمية تطابق الأساليب التجريبية التي تجرى فيها الملاحظة تحت شروط منضبطة في المعمل، وهذا قد شكّل القواعد المفاهيمية لفكرة أن العلم هو أسلوب دقيق وتجريبي يؤدي إلى اكتشاف القوانين الطبيعية، وحتى الإنسان تم تشيؤ ظواهره وانفعالاته بحيث تصبح أشياء تخضع لهذا المفهوم، وتم اختزال هذا الإنسان في جوانبه المادية.

ولكن أليس هذا ما أطلق عليه المولى عز وجل (العلم بظاهر الحياة الدنيا)؟ إذ تم حصر العلم في ظاهر الأشياء فقط.

فمثلاً قد بلغت علوم الأحياء وعلوم الحيوان شأواً كبيراً في عصرنا هذا، وقام العلم الطبيعي بتشريح الحيوانات تشريحاً كاملاً، وأنشئ فرع من العلوم يعني بسلوك الحيوان، وأصبح له مختصون وعلماء، ولكن هل استطاع هؤلاء عبر النموذج المعرفي القائم على العلم بظاهر الحياة الدنيا، أن يصلوا إلى كنه هذه المخلوقات ومكوناتها، وهل تمكنوا - عبر هذه الوسيلة - من سبر أغوارها؛ ففي قصة نبي الله سليمان ذكر الله تعالى على لسانه أنه علمه منطق الطير، فهل نستطيع أن نصل بالوسائل المعرفية هذه إلى هذا المنطق، وهل يمكن أن نصل إلى أن الهدهد مفكر وعالم ينظر إلى ما يفعله بنو البشر ويحلله

(6) سورة الأنبياء الآية 20 .

(7) سورة النمل الآية 40 .

(1) سورة الشعراء الآيات 123 - 135 .

ويضع عليه أحكاماً معيارية بأنه فعل راشد أو غير راشد ، كما أن الهدد يعلم حقيقة الإيمان وحقيقة الشرك والكفر ، وكل ذلك يبدو في قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتِ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجَنَّتُكَ مِنْ سَبَا بِنَبِيٍّ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصْدَقْتُمْ أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (1) وفي قوله تعالى : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (2) .

فالعلم أشمل وأوسع من حصره بالدائرة المفاهيمية لظاهر الحياة الدنيا، وإذا اتسعت دائرة فهمنا للعلم بحيث شمل مفهومه كل ذلك - نستطيع أن نستوعب كيف تكون تقوى الله تعالى عاملاً لاكتساب هذا العلم في مجالي الحياة الدنيا والآخرة مصداقاً لقوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) (3) .

(1) سورة النمل الآيات 15- 28.

(2) سورة النحل الآيات 68- 69.

(3) سورة البقرة الآية 282.

المراجع :-

- 1- البخاري : محمد بن إسماعيل الجعفي : صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط/ دار ابن كثير بيروت 1987م
- 2- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ط/ مكة 1404 هـ
- 3- حاج حمد: محمد أبو القاسم:
(أ) إسلامية المعرفة المفاهيم والقضايا الكونية: مجلة تفكر: مج 3 ع2، ط/ معهد إسلام المعرفة السودان 2001م.
(ب) العالمية الإسلامية الثانية، ط/ دار ابن حزم بيروت 1996م
(ج) منهجية القرآن المعرفية ، ط : المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1991م.
- 4- ابن حبان : محمد بن حبان :صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب أرناؤوط ط/ 2 مؤسسة الرسالة 1993 م .
- 5- ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط/ مؤسسة قرطبة مصر .
- 6- سارتون: جورج: تاريخ العلم : ترجمة عدد من العلماء بإشراف لجنة من عماد إبراهيم بيومي مذكور وآخرون، ط/ دار المعارف مصر.
- 7- الشعراوي : محمد متولي ، الله والكون ، ط / دار المسلم المعاصر، القاهرة سنة 1980م.
- 8- العلواني طه جابر
(أ) إسلامية المعرفة المبادئ العامة- وخطة العمل ، سلسلة إسلامية المعرفة ،ط/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي واشنطن
1986م.
(ب) الجمع بين القراءتين ، ط/1 المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1996م
(ج) محاضرات في المنهجية الإسلامية ، ط/ معهد إسلام المعرفة- السودان 1996.
- 9-القرطبي ، عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، ط/ دار الريان للتراث ، القاهرة سنة 1981م.
- 10- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق محمد علي الصابوني ، ط/ دار القرآن الكريم بيروت .
- 11- النسائي:أحمد بن شعيب : المجتبى من السنن ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط/ 2 مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب 1986م.